مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. المجلد: 17. العدد: 01. 15 جوان 2026
ر ت م د (ISSN): 1822-2170 / ر ت م د إ (E-ISSN): 2600-6189

الثقافة والتعليم في الجزائر خلال العهد العثماني10/13هـ- 16/19م

Culture and education in algeria during the ottoman era 10/13 AH-16/19AD.

عبو ابراهيم [1]♦، جيلاني كوبيبي معاشو [2]

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر،
[1] brahim.abbou@univ-mascara.dz.

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر،
[2] m.djilanikobibi@univ-mascara.dz.

تاريخ الإرسال: 2026/02/28؛ تاريخ القبول: 2026/03/29؛ تاريخ النشر: 2026/06/15

الملخص:

تميزت الحياة العلمية والثقافية في الجزائر العثمانية انتشار ظاهرة التصوف والدروشة حتى شاعت بين الفقهاء والأولياء، كما انتشر النقل والتقليد حتى كاد أن يكون أعمى مما أدى إلى ضعف التعليم بكامل الجزائر وانحطاط العلوم، وانحصرت الثقافة على الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية، أما الأدب والشعر وفنونهما فلم يتعد المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية وبعض الأشعار الغزلية والمقامات والأسجاع النثرية.

تميزت طرق الوقف بأنها كانت بدائية وبسيطة بساطة التعليم نفسه، في الغالب يوجه الطفل إلى المدرسة القرآنية في سن الرابعة، يقدم اللوح على المعلم ليكتب فيه البسملة والآيات الأخيرة من سورة الإسراء:" قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن..." تيمنا بالعبادة وصحة العقيدة، كما تكتب الحروف الهجائية بحسب الترتيب المغربي، يتناول الحاضرون بخاصة من الشيوخ اللوح ليكتب كل حرف من هذه الحروف تبركا، علما أن حرف الفاء ينقط بنقطة تحتها، أما حرف القاف تأخذ نقطة واحدة فوقها.

الكلمات المفتاحية:

الحياة الثقافية؛ انحطاط التعليم؛ انتشار العامية؛ التصوف؛ الدروشة؛ المدرسة القرآنية؛ طرق التدريس.

♦ المؤلف المرسل

Abstract:
The scientific and cultural life in Ottoman Algeria was characterized by the spread of Sufisme and sanderling mysticism, which became common Even among jurists and saints. At the same time, transmission and imitation spread to the point of becoming almost blind, Leading to the Weening of éducation across Algeria and the décline of sciences. Culture was largely confined to juristic and doctrinal commentaires and annotations, while literature and poetry did not extend beyond prophetic praises, Sufi pieces, some love poems, maqamat (prose texts), and rhymed prose.

The methods of endowment (waqf) were primitive and simple, reflecting the simplicity of education it self. Children were usually sent to the Quranic school at the age of four. They would present their slate to the teacher to write the Basmala and the final verses of Surah Al-Isra : 'Say : Call upon Allah or call upon the Most Merciful...' as a symbol of devotion and correct belief. The letters of the alphabet were written according to the Maghrebi order. Attendees, especially the elders, would touch the slate to write each letter for blessing. Notably, the letter Fā' is marked with a dot below it, while the letter Qāf takes a dot above it.
Keywords: Cultural life; decline of éducation; the speard of colloquial langage; sufisme; ascétiques; quranic school; teaching methods.

مقدمة:

انحصرت الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني في الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية بسبب تردي الثقافة والعلوم وانحطاطها، أما الأدب والشعر وفنونهما فلم يتعد المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية وبعض الأشعار الغزلية، زيادة على ذلك أصبح أسلوب العلماء يغلب عليه العامية ولا سيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية" (سعد الله، أ، ا. 1998: 56).

أما فيما يخص التعليم فلم يتعد القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير، وأصبحت الحياة الثقافية بعيدة عن الإبداع والتجديد، كما أصبح غاية الكثير من المتعلمين كسب المعارف التي خلفها السلف دون الاجتهاد فتعطّلت العقول وخملت، وأصبح دورها يقتصر على الحفظ والنقل" (سعد الله، أ، ا. 1998: 57)

وبناء على ما سبق، ظلت الأوقاف والإعانات المقدمة من طرف المحسنين والأثرياء الممول الرئيسي للمؤسسات التعليمية في تلك الفترة، فكثيرا ما نجد الأهالي هم من يدفعون الأجور الشهرية للمؤدبين والأساتذة إما نقدا أوعينا (مبالغ مالية أو المؤن كالقمح والزيتون وغيرها...)، بالإضافة إلى موارد الصدقة التي كان يقدمها المحسنون

للطلبة. لأن السلطة العثمانية لم تكن يكن لها مسار واضح في دعم هذه المراكز العلمية والثقافية، إلا من خلال بعض المسؤولين من دايات وباشوات الذين ساهموا في عملية الوقف". (سعد الله، أ، ا. 1998: 59)

1- طرق التدريس:

تميزت طرق الوقف بأنها كانت بدائية وبسيطة بساطة التعليم نفسه، في الغالب يوجه الطفل إلى المدرسة القرآنية في سن الرابعة، يقدم اللوح على المعلم ليكتب فيه البسملة والآيات الأخيرة من سورة الإسراء:" قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن..." تيمنا بالعبادة وصحة العقيدة.

كتابة الحروف الهجائية بحسب الترتيب المغربي، يتناول الحاضرون بخاصة من الشيوخ اللوح ليكتب كل حرف من هذه الحروف تبركا، علما أن حرف الفاء ينقط بنقطة تحتها، أما حرف القاف تأخذ نقطة واحدة فوقها.

هناك أربعة حروف إذا وردت في آخر كلمة فأنها لا تعجم(تهمل) وهي: النون، الباء، الفاء، القاف، وتكتب الآيات في اللوح بقلم الرصاص وبقلم الحبر(الدواية)، على أن بتدرب على شكل الحروف والتفريق بينها ويتقنها يملي عليه الشيخ الآيات وهذا بعد أن يكون قد أتقن كتابة الحروف على أن تراقب من طرف الشيخ (بن سعد، م، ا.2012: 229)

وقد جاء وصف طريقة التدريس على لسان عدة رحالة ومؤرخين، فبينوا إيجابيتها وسلبياتها حيث يقول كانكارت:"...والكتب التي تدرس في هذه المدارس هي القرآن والتفسير، وهم يكتبون بأقلام مصنوعة من القصب، على ألواح مربعة مصنوعة من الخشب تطلى بنوع من الصلصال الأبيض، وبعدما يحفظ الطالب درسه نمحى اللوحة بغسلها بالماء، وهكذا دواليك، وهي طريقة اقتصادية للغاية بالنظر إلى أنهم لا يستهلكون الورق إطلاقا في عملية القراءة" (كانكارت.1982: 98)، وهو يثني على جمال الخط العربي رغم بساطة الوسائل فيقول:" والتعجب أنهم يكتبون خطا عربيا في غاية الجمال، ولقد أتيح لي أن أرى مصاحف مكتوبة بالخط العربي يشرّف أعظم مكتبة في العالم أن تقوم بإنجاز مثلها" (كانكارت.1982: 98)

ولد انتشرت هذه الطريقة عبر جميع المدارس والكتاتيب والزوايا، "فالمؤدب كان يجلس عادة في صدر الكتاب متربعا على الحصير أو نحوه، مستندا ظهره إلى الجدار، مرتديا عمامة وجبة فوقها أحيانا برنس، وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ عند الحاجة، وكان يلتفت بيمينه ويساره يراقب حركة التلاميذ وأدائهم لواجباتهم، وكان التلاميذ يلتفتون حول المدرس، ويشكلون نصف دائرة جالسين على الحصير" (كانكارت.1982: 99)

كانت الكتاتيب والمساجد والزوايا مراكز إشعاع وقواعد صناعة الثقافة في الجزائر العثمانية ليس في الجزائر فحسب، بل في كل بلاد المغرب الإسلامي سواء عبر المناطق الحضرية أو الريفية، وكانت مدينة الجزائر في طليعة البلدان كثيرة الكتب والمكتبات والزوايا في طليعتها الزاوية الثعالبية الغنية بأوقافها فهي تطعم أعداد غفيرة من الزائرين وتؤويهم وتعلمهم وتقدم خدمات كثيرة للفقراء والمشردين ودون مأوى.

ومن جهة ثانية،تعتبر مدينة معسكر بفضل المدرسة المحمدية إحدى القلاع الحقيقية و منارة حقيقية للعلم والعلماء في الجزائر العثمانية عموما وبايليك الغرب خصوصا وذلك من خلال البيوتات العلمية التي توارثت الوجاهة و المكانة أبا عن جد، و أنجب بذلك الوطن الراشيدي علماء أجلاء وفقهاء ومقرئين و شعراء ومؤرخين ورحالة، ثم توارثت هذه البيوتات العلمية الوظائف والقضاء والإمامة و التدريس نذكر من بينها عائلة: المشارفة، ابن التهامي، الخروبي، مصطفى بن المختار، وأبو راس الناصري، و غيرها كثير و أولت هذه الأسر العلمية عناية خاصة للزوايا و معاهد العلم و مدارس التعليم و يوظف بها أجل العلماء و المدرسين ليقصدها الطلبة من كل الآفاق و الأمصار" (بوعزيز، ي.1995: 223)

أما الكتب فكانت تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب من الخارج، ولا سيما من الأندلس، مصر، اسطنبول وكان هنالك رصيد كبير من المكتبات، ويشهد الباحثون الفرنسيون أنهم جمعوا مخطوطات كبيرة من مختلف المدن الجزائرية، وأن المكتبات كانت غنية بشتى أنواع الكتب، واشتهرت العديد من المدن في الجزائر ببيع وتجليد الكتب، ويوجد بها سوق الوراقين الذي ذكره حمدان خوجة في المرأة والذي كان مخصصا لبيع الكتب وأن النساخين كانوا فيه بكثرة. (خوجة، ح، ب.1973: 87)

ويؤكد الرحالة شالر هذه الحقيقة قائلا:" ومع ذلك فإن مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداء من سن الخامسة والسادسة فصاعدا، حيث يتعلمون القراءة والكتابة، ونظرا لأن الأمور لا تتطور بسرعة في هذه البلدان، فانا أميل إلى الاعتقاد بأننا مدينون للعرب بالطريقة التربوية التي تعرف عندنا باسم "الإنكاستر"، فكل تلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب بسهولة وعلى هذه اللوحة تكتب بوضوح سورة من القرآن ثم يقوم بعض التلاميذ بنقلها بعناية، كل على لوحته وبالتاي، التلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها، يقوم بتعليم ذلك للتلاميذ، ويعلم الدرس بصوت مرتفع تلميذ كبير أو معلم يجلس في مكان مرتفع(سدة) وفي يده عصا يستعين بها لحفظ النظام ولإثارة انتباه الطلبة" (شالر، و.1982: 82)

ومن جهة أخرى، ظلت حركة التأليف والنسخ تزوّد المكتبات والساحة الثقافية بإنتاجها العلمي الذي نميّز فيه نوعين:

أ-إنتاج علمي متمثل في الشروح والحواشي العقائدية والفقهية. (البوعبدلي، ا.1972: 273-274)

ب- وإنتاج أدبي متمثل في الشعر (بكلّ أغراضه) والنثر (الناصري، أ، ر.2005: 64). وتميز الإنتاج الثقافي بمجموعة من الخصائص نوجزها فيما يلي:

- إنتاج بسيط غلبت عليه العامية لمخاطبة عامة الناس التي لا تتقن اللغة العربية الفصحى والذي ساعد على انتشار الأدب الشعبي. (سعد الله، أ، ا. 1998: 20-21)

- الاعتماد على الخبر والرواية الشفوية في الكتابة التاريخية، الأمر الذي أدى إلى انتشار منهج السرد التاريخي. (الناصري، أ، ر.2005: 28)

- غلب عليه طابع التقليد للسلف وغياب الإبداع والتجديد حتى العلوم النّقلية مثل الفقه واللغة التي لم تخرج عن هذه القاعدة. (الناصري، أ، ر.2005: 28)

- إنتاج وليد المناسبات خاصّة الشعر والنثر. (الناصري، أ، ر.2005: 61)

وما يمكننا ملاحظته في التعليم بالجزائر العثمانية، اختفاء وغياب انتشار العلوم العقلية ولا سيما علوم الكيمياء والملاحة والموسيقى والحساب، وحل محلها المعلومات السطحية القائمة على أساس قسمة التركات، وأصبحت الكيمياء عبارة محلول ماء الورد، وأصبح بالتالي كل عالم مهتم بالعلوم والفنون أنه شاذ وغير منسجم مع روح العصر والمجتمع" (سعد الله، أ، ا. 1998: 20)

2- المناهج التعليمية:

ظلت طرق التعليم في الجزائر العثمانية بدائية وبسيطة بساطة التعليم نفسه بسبب طابع التقليد وغياب التجديد الذي اعتمد على التلقين والسرد. بناء على ما سبق، ما هي المناهج التعليمية المنتشرة في الجزائر خلال العهد العثماني؟

اقتصرت مناهج التعليم آنذاك، في المرحلة الابتدائية على القراءة والكتابة وحفظ القرآن واستظهاره (رحوي، آ، ب.2011: 63)، أما طريقة التدريس فكانت بسيطة ببساطة التعليم نفسه ولم تتغير طوال العهد العثماني، حيث يسهر على تعليم الأطفال في الابتدائي معلم يجلس في مكان مرتفع" (فون مالتسان، ه.1976: 97)، مسندا ظهره إلى الجدار مرتديا عمامة وحبه وفوقها أحيانا برنوس، بيده عصا طويلة يحفظ بها النظام داخل الفصل ولإثارة انتباه التلاميذ" (فون مالتسان، ه.1976: 81)، أما عن طريقة التدريس التلاميذ فيطلب منهم أولا كتابة الحروف الأبجدية بحروف كبيرة وذلك بقلم القصب ويعيد كتابتها إلى أن يستطيع طالب ألف باء تاء التهجية، ثم يحدث نفس الشيء مع الأسماء والأفعال التي تستعمل بكثرة وبعد ذلك يتم تعليمهم عددا قليلا من الجمل المستعملة

بكثرة في الحياة اليومية، فالأشياء المحفوظة لا تشرح للطلاب" (فون مالتسان، هـ.1976: 86)

أما عن الأدوات التي يستعمل التلاميذ في عملية التمدرس يذكر في هذا الصدد:" وليام شارلر" أن كل تلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب عليها بسهولة، وعلى هذه اللوحة تكتب بوضوح سورة من القرآن، ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته بالتوالي، والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك للتلاميذ الآخرين، ويعلم الدرس بصوت مرتفع(شالر، و.1982: 82)، فالصورة التي تقدمها الدراسات تجاه مسالك التعليم في الفترة العثمانية لم تكن تختلف عن الموجودة قبل هذه الفترة حيث يمكن توصيفها على الطريقة التالية:

- **الطريقة الأولى: طريقة** الإلقاء والإملاء أو ما يسمى بالتلقين حيث يقوم العالم أو الفقيه بإلقاء درسه انطلاقا من قراءة للكتاب أو المتن أو الموضوع المدرس. (مجدوبي، ن، ا.2019-2020: 24)

- **الطريقة الثانية:** والتي كانت تتم في مرحلة التعليم العالي عن طريق الحلقة إذ يجتمع الطلبة حول شيخهم الذي يقوم بشرح والإملاء بمعنى أن الأستاذ يشرح الدرس ثم يقوم بإملاء الخلاصة على الطلاب، وفي الأخير يتلقى الشيخ سؤالا أو اثنين وتكون عادة عبارة عن أسئلة يطرحها الطلبة بعد انتهاء الدرس (دياب،ز. برويس، و.2021: 41). ولابد الإشارة لنقطة مهمة حول ممارسة التعليمية في مرحلة الابتدائية (طريقة التدريس) والتي ربما لازالت موجودة في الكتاتيب القرآنية لحد اليوم، ألا وهي ضرب الشيخ لتلاميذ على أصابعهم أثناء الدرس (فون مالتسان، هـ.1976: 98)، بتحديد المشاكسين منهم.

وبناءا على ما سبق، تعتبر المناهج جزءا من أجزاء المنظومة التعليمية بمختلف أنماطها ومستوياتها وتحديد دور المدارس (دياب،ز. برويس، و.2021: 26)، والمتمدرس باعتبارهم الفئة الفاعلة في عملية التعليم، فإن الأعمدة الأساسية في بناء عملية التعلم يحملها المعلم والمتلقي (دياب،ز. برويس، و.2021: 64)

أ- **المعلمون:** من الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم، فهو المثل الأعلى للتلميذ من الصبي إلى المراهقة، وهو ناشر العلم بين الناس بلسانه وكتابه وسلوكه وهو موجه التعليم (عبو، ا.2017-2018 :09)، وففي فضل المعلم يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وكان المعلمون في الجزائر في الفترة العثمانية صنفين: معلموا المدن ومعلموا الأرياف. (سعد الله، أ، ا. 1998: 312) فمدرس الشباب هو أستاذ شيخ، ومن يدرس الفتيان هو معلم أو مدرس ومن يدرس الأطفال فهو المؤدب (عبو، ا.2017-2018 :101).

أما في المدينة كانت العائلات هي التي تختار المعلم لتعليم أبنائها والمكان الذي يدرس فيه هؤلاء ويشترطون فيه شروط معينة مثل الزواج والأخلاق الفاضلة ويكون حافظا للقرآن الكريم معروفا بأدائه للصلوات... إلخ (سعد الله، أ، ا. 1998: 322) في حين يقوم سكان الريف والمداشر باختيار المؤدب للصغار، أما المدرس فيتم تعيينه من طرف حاكم الدار، أما في الريف فيختاره شيخ القبيلة إليه عند الفتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية فهو محل تقديرهم وثقتهم (الورتيلاني، م.2006: 31)

وبناء على ما سبق، يمكننا أن نشير أن وظيفة التدريس كانت من أقل المناصب تنافسا بين العلماء باعتبارها من الوظائف العامة لهم، وكان تعيين العلماء والمدرسين في الوظائف التعليمية لا يخضع للإدارة الحكام (مخفي، م.2017: 272)، وكان الأساتذة عادة لا يتحمل عبء التعليم فقط وإنما يعمل إلى جانب ذلك عمل أخر كالمؤذن أو الإمام (مخفي، م.2017: 318)، لأنه قد وجد معلمين لا يتقاضون أجورهم وهذا ما نستنتجه من زيارة الورتيلاني، لمدينة بجاية في كل عام خلال شهر رمضان ويقول: " ناويا لرباط وتعليمي لطلبة راجيا أن يكون لي حظا وفيرا منهم عندهم..." (الورتيلاني، م.2006: 33) إذ غالبا ما كان المدرسين يتلقون مبالغ مالية في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معينة مثل شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى، وكانوا يتلقون في الحفلات حوالي مائة محبوب ويأخذ القاضي الحنفي والمفتي المالكي 50 صاغة شهريا. (مخفي، م.2017: 90) والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الشيوخ والمدرسين كانوا قد حظيوا بمكانة مرموقة بين الرعية كونهم حاملين للعلم وحافظين لكتاب الله (رحموني، ع، ا.2014-2015: 144)، ولعل من أشهر مدرسين الجزائر العثمانية والذين وردت أسمائهم في المصادر التاريخية وبلغت شهرتهم ربوع القطر الجزائري نذكر على سبيل المثال:

أبي رأس الناصري : بن أحمد ابن ناصر الراشدي الناصري (الحنفاوي، م.1906 :332)، المولود بنواحي مدينة معسكر بالجزائر يوم 27 ديسمبر 1751م، وتوفي يوم 27 أفريل 1823م، درس وأفاد ورفع العلم (عيفة، ا: 466)، وكان يدعي في زمانه الحافظ لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسانده (الحنفاوي، م.1906 :333) كان من بين العلماء البارزين الذين زخرت بهم كتب التراجم، تميز الناصري بكثرة المطالعة وسعة العلم زد على ذلك ما تميزت به عودته من المشرق من إستعاب لدراسات عصره، إذ أحاط بالمذاهب الأربعة وتخصص بالمذهب المالكي ثم تفنن بتدريس وإفادة الطلبة إذ يقال أنه قد بلغ عدد من حضر دروسه بالمئات.

ب- التلاميذ: يعتبر محور العملية التعليمية، كان سنهم يتراوح بين السادة والرابعة عشر (رحموني، ع، ا.2014-2015: 65)، والتلميذ النابغ يكون قد ختم القرآن مرة أو عدة مرات وتعلم القراءة والكتابة وأولويات الحساب وكل أسرة يتقدم أطفالها في تعليمهم تعتبر

محظوظة وسعيدة، وتعبر عن فرحتها بالإحتفال بالطفل عند ختمه القرآن الكريم فتقيم مأدبة تدعو إليها الأطفال كما يشارك فيها الجيران في تبادل التهاني والأفراح (سعد الله، أ.ا. 1998: 332)، وبعدها يختار التلاميذ إما أن يصبح مساعد للمؤدب في تعليم الصغار أو ينتقل لتعليم الثانوي لمواصلة تعليمه (البوعبدلي، ا.1972: 34)، إن عدد التلاميذ في كل كتاب كان يتراوح بين العشرين والثلاثين ويتوقف العدد على حسب كثافة سكان الحي وعلى نجاح المؤدب وشهرته" (البوعبدلي، ا.1972: 36)

وكان معظم المتعلمين يتزودون علما واستكمالا لدينهم وفهما لمبادئه وحدوده، وكان المتعلم مدفوعا للعلم بدافع ذاتي هو لذة وهواية، فالطالب يقدم على التعليم لرغبة ملحة وتضحية كبيرة لأنه يجد فيها ذاته وميوله الشخصي، وهناك البعض أيضا بدافع تقاليد الأسرة، إذ كانت بعض الأسر تتوارث التعليم" (بن عامر، ف. شابو، ف.2018-2019: 89).

إن ما يشير الفضول بشأن الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني هو طبيعة المواد التعليمية التي كان يتلقاها الطلبة في ظل غياب نظام مرجعي يأخذ شكل برنامج متفق عليه، فقبل الحديث عن المواد التعليمية لابد من الإشارة مبدئيا إلى طبيعة النظام التعليمي ككل ذلك أن المجتمع الجزائري قد أعتمد التعليم العربي التقليدي (رحوي، آ، ب.2011: 59)، الذي أقتصر فيه البرنامج التعليمي على العلوم الدينية (القرآن والسنة) واللغوية والتاريخ بينما العلوم الأخرى لم تكن متطورة ومحدودة مثل الطب والصيدلية (رحوي، آ، ب.2011: 64)، ولا جرم أن هذا الاتجاه الأحادي لتعليم أكسب البلاد تخلفا فادحا في ميدان الرعاية الصحية، وبالتالي أعطى فرصة ثمينة لظهور المشعوذين والسحرة للتلاعب بعقول الناس وعواطفهم والتي أصبحت مع مرور الزمن طريقة تقليدية مكتسبة، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تسعى جاهدة إلى الخروج من ظلامها الدامس، بقي المجتمع الجزائري خلال العهد مجتمعا إسلاميا شرقيا منغلقا على نفسه.(عقاب، م، ط.2009: 105)

3- البرنامج التعليمية:

يعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره، إذ شهدت الجزائر في العهد العثماني وضعا تعليميا قد يكون خاصا مقارنة بما شهدته في مراحل سابقة ولاحقة سواء من حيث مستويات التعليم أو المواد المدروسة...إلخ ويرجع ذلك إلى أن السياسة التعليمية لم يخطط لها من طرف السلطة العثمانية التي كان كل همها الجانب السياسي والعسكري (دياب، ز.برويس، ز.2021: 180)، الأمر الذي أدى إلى انتشار التعليم العربي الإسلامي التقليدي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية، إذ أن المؤسسات

التعليمية التي رأيناها على اختلاف مسمياتها من كتاتيب وزوايا ومساجد ومدارس قرآنية قد اجتمعت على الأداء التعليمي (بن عامر، ف. شابو، ف.2018-2019: 81)، حيث إنقسم التعليم إلى ثلاث أطوار مختلفة لكل طور برنامج خاص به وهي كالتالي" (بن عامر، ف. شابو، ف.2018-2019: 86):

1/ الطور الإبتدائي: هو مرحلة الأولى من مراحل التعليم والقاعدة الأساسية التي تبنى عليه المراحل الأخرى كان يتم هذا النوع من التعليم في غالب الأحيان بالكتاتيب أو المدارس الابتدائية حيث يتردد عليها الأطفال أبتداءا من سنة الخامسة والسادسة فصاعدا ليتعلموا القراءة والكتابة (دياب، ز.برويس، ز.2021: 82) والملاحظ أن هذا بخصوص الأطفال الذكور، أما فيما يتعلق بتعليم المرأة يرى شالار: "أن هناك مدارس للبنات والنساء هن اللواتي يدرن هذه المدارسة أما المرأة الريفية فقد كانت أكثر ظهورا من المرأة الحضرية تلتقي في صباها قواعد الدين والقراءة على يد والدها إذ كان متعلما أو على يد مؤدب خاص"(شالر، و.1982: 176)، كما عرفت المدارس بالجزائر والمدن الداخلية وحتى في أوساط القبائل كثيرة ومجهزة بشكل جيد، ففي مدينة الجزائر كانت هناك مدرسة في كل مسجد، وأن التعليم الابتدائي كان كثير الانتشار في الجزائر بحيث أنه لم يكاد يوجد من لا يعرف القراءة والكتابة، وكانت المدارس الابتدائية تتبع دائما مسجد معينا أو زاوية معينة وأقل وحدة في التعليم الابتدائي هي الكتاب (جمع كتاتيب)" (البوعبدلي، ا.1972: 45)
أما البرنامج التعليمي في هذه المرحلةو المواد المدرسية فتوزع على الشكل التالي:

*المرحلة الأولى : يتم تعليم الأطفال القراءة والكتابة ويحفظون القرآن وكان تعليم المادتين الأوليين سيستغرق عادة سنتين، في حين يتطلب حفظ القرآن خمس سنوات، إلا أن معظم التلاميذ كانوا يغادرون المدارس عند نهاية السنة الرابعة، كما أن دراستهم للقرآن كانت تقتصر على تنمية الذاكرة ولا تتعداها إلى شرح وتفسير آياته المحفوظة بالتتابع (البوعبدلي، ا.1972: 22)، ويتم التعليم الابتدائي عادة مرتين في اليوم في الصباح من الخامسة والسادسة حتى العاشرة، وفي المساء من الثالثة عشر إلى الساعة السابعة والثامنة عشر مع راحة في الوسط قبل صلاة العصر، أما بخصوص العطلة الأسبوعية تبدأ من عصر يوم الأربعاء في صباح يوم الجمعة . (بن عامر، ف. شابو، ف.2018-2019: 70)

وفي الأخير يمكن القول أن المادة الأساسية في هذه المرحلة تمثلت في تعليم القرآن الكريم، الذي هو أساس الثقافة الإسلامية (دياب، ز. برويس، ز.2021: 88)، وعلى الرغم من أن المدرسة لم تسير العصر آنذاك والحالة الاجتماعية، إلا أنها كانت ذات أثر جلي في تأدية وظيفتها الرئيسية في المجتمع (بن عامر، ف. شابو، ف.2018-2019: 71).

2/ الطور الثانوي: عندما يجتاز الطفل المرحلة الإبتدائية بنجاح التي عادة ما تكون بختم القرآن فيواصل دراسته في الثانوية (عمورة، ع.2009: 140)، كان التعليم في المرحلة الثانوية يتوسط الحلقة التعليمية بين الطور الابتدائي والعالي، وكان يزاول هذه المرحلة في بعض المدارس التي بناها محبو العلم وأنصاره من الحكام والأعيان وذوي البر والإحسان مثل مدرسة سيدي أيوب ومدرسة حسن باشا في العاصمة ومدرسة سيدي الكتاني... إلخ (عمورة، ع.2009: 10)، وللإشارة فإن التعليم في هذه المرحلة كان يختلف عن سابقتها من مراحل التحكيم فالمدرس لم يكن حرا وخصوصا في المدن إذ كان موظفا يعينه الباشا أو الداي وتسلط عليه الرقابة والقيود، وكان معدل المنح بالنسبة إليهم يتراوح بين 160 و200 سنويا بالإضافة إلى حصولهم على السكن مجانا ، وما يميز هذه المرحلة عن سابقتها أن الطلبة تكون لهم الحرية في إختيار المواد التي يدرسونها وغير ملتزمين ببرنامج دراسي معين نظرا لإنعدام الوصاية أو الوساطة التي تفرض عليهم ذلك، إذ يختار الطلبة ما يناسبهم حسب ميولهم وطاقتهم وإمكانياتهم الفكرية (عمورة، ع.2009: 68)، فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن مدرس بعينه قبل مجيئه فإنه يقصده مباشرة إلى حلقته ويتابع دراسته معه في المادة التي يدرسها أو المواد، أما إذا جاء الطالب وهو لا يدري عمن سيدرس فإنه يجلس إلى المدرسين عدة مرات حيث يستفسر ويستقر رأيه على واحد منهم أو أكثر، وكان هؤلاء الأساتذة يحترمون ميول الطلبة في اختيار المواد التي سيدرسونها إذ كان لهذا دور إيجابي على الكثير منهم فقد نبغ الكثير منهم في مختلف العلوم النقلية كانت أو عقلية (دياب، ز.برويس، ز.2021: 68). ومن جملة ما يقدم لتدريس من علوم ما يلي:

تفسير القرآن الكريم، الحديث النبوي، الفقه، التوحيد وعلم الكلام، أصول الفقه وأصول الدين القراءات بالإضافة إلى التصوف، بينما ضم الطور الثانوي حسب المعطيات التي سجلت في هذا المستوى، حوالي 3000 تلميذ من كل إقليم (سعد الله، أ، ا. 1998: 133)، حيث جرت العادة آنذاك ألا يزاول التلاميذ دراساتهم في المنطقة التي يسكنونها بل يبتعدون عن جهاتهم فيقصدون المساجد والزوايا البعيدة التي اشتهرت بالتدريس والتعليم، وعند الإنتهاء من هذه المرحلة، ينال الطالب "إجازة" تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه: الإجازة ليست شهادة مكتوبة ولكنها تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ (البوعبدلي، ا.1972: 133)، وفي الأخير لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن هذا التعليم كان مجاني بل ويحصل كل طالب على منحة مالية إلى جانب الأكل والسكن (البوعبدلي، ا.1972: 08)

3/ الطور العالي: يذكر "جون ب. وولف" أنه وبحلول القرن الثامن عشر كان يوجد ثلاث مدارس عليا (كوليج colleges) (وولف، ج.2009: 154)، لكن ما يمكن تسجيله

بداية بالنسبة لهذا الطور التعليمي غياب الهياكل المتكفلة به، حيث لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي بحيث لم توجد نظم التعليم مثل جامعة إسلامية كالأزهر والقيروان والزيتونة، لكن ورغم ذلك كانت الدروس في الجوامع الكبيرة تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين (عطيلي، ه.2018-2019: 25-26)، بفضل مدرسيها من شيوخ ذوي كفاءات علمية بارزة يتم تعيينهم في المؤسسات التعليمية بواسطة قرارات سلطانية، شريطة أن تتوفر فيهم بعض الشروط مثل أن يكونوا وافري العلم، ملمين بالكتاب ومتمكنون من السيطرة على مجالس العلمية، بحسن حديثهم وخفة روحهم وسرعة بديهتهم (سعد الله، أ، ا. 1998: 284) أمثال: دروس عبد القادر بن عبد الله المشرفي بمعسكر ، وأحمد البوني بعنابة كانت دروسهم مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي (دياب، ز.برويس، ز.2021: 68)، ويتم تلقين الدروس بالجوامع الكبيرة نذكر من أهمها: المدرسة القشاشة ومدرسة الجامع الكبير ومدرسة الأندلس... (عمورة، ع.2009: 140)، أما عن عدد الطلبة في هذه المرحلة فقد أشارت الإحصائيات إلى أنهم كانوا بين 600 إلى 800 في كل إقليم يواصلون تعليمهم العالي، يتقدم الطالب لتمدرس من السادس عشر إلى الواحد والعشرين سنة" (عطيلي، ه.2018-2019: 38)

أما مواد التعليم العالي فيتوسع الطلبة في العلوم الدينية واللغوية خاصة منها: تفسير القرآن الكريم، وعلوم الحديث وصحيح البخاري وموطأ مالك، بالإضافة إلى التوحيد أو علم الكلام بالمنظومة الجزائرية وعقائد السنوسي الثلاث، والقراءات بمنظومة الجزري و الشاطبيتين الصغرى والكبرى (سعد الله، أ، ا. 1998: 354). ويدرس الطلبة أيضا شيئا من التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية ويدرسون أيضا المنطق لصلته بعلم التوحيد والحساب لعلاقته الوثيقة بعلم المواريث والفلك لمعرفة أوقات العبادات (شهيب، ع.ا.د.س: 70)، وفي هذا المستوى هناك من كان يكتفي بالتعليم المحلي بينما هناك من يسافر إلى الجامعات والمعاهد الإسلامية المشهورة في الخارج كالأزهر والزيتونة والقيروان للاستزادة من العلم والمعرفة على يد كبار شيوخ والمدرسين والعلماء ثم يعودون إلى بلادهم وقد تحصلوا على العلم الغزير يؤهلهم إلى مصاف الشيوخ." (دياب، ز. برويس، ز.2021: 40).

وبناء على ما سبق، نشير إلى أن المعاهد العليا بالجزائر العثمانية كانت تتكفل بإيواء الطلبة وتمنح للبعض منهم منحة سنوية من دخل الأوقاف، وكانت مدينة الجزائر في عهد العثمانيين قبلة علم تشتد إليها الرحال، وهذا ما يتجلى من حديث الأديب والرحالة ابن زاكور الفاسي الذي تتلمذ في هذه المدينة (البوعبدلي، ا.1972: 141).

الخاتمة:

- أن التعليم في الفترة العثمانية، قد شهد انتشارا واسعا عبر ربوع الوطن الجزائري، وهذا بشهادة المصادر التاريخية التي أكدت كثرة المراكز التعليمية وتواجدها تقريبا في كل مكان سواء في الريف أو المدينة.

- إن المناهج والبرامج التي عرفتها الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر كانت في المجمل تخضع لإرادة المدرسين وكذا الطرائق التحصيل العلمي السائدة آنذاك التي كانت تعتمد على النقل والرواية والحفظ ولا تشجع ملكات النقد، بالإضافة إلى نوعية التعليم الذي كان تعليما دينيا بحتا، كل هذه الأمور حالت دون إعطاء دفعة قوية للعملية التعليمية.

- ساهم التعليم الديني ساهمة كبيرة في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للفرد الجزائري، وعدم الانفتاح على العلوم العقلية أدى إلى عدم تسجيل إسهامات حقيقة في دفع عجلة المجتمع نحو التغير، وفتح المجال للهجوم على التعليم في الجزائر في الجزائر العثمانية.

- تميزت طرق التعليم بأنها بدائية وبسيطة بساطة التعليم نفسه، في الغالب يوجه الطفل إلى المدرسة القرآنية في سن الرابعة، يقدم اللوح على المعلم ليكتب فيه البسملة والآيات الأخيرة من سورة الإسراء.

- إن الإعانات المقدمة من طرف المحسنين والأثرياء ظلت الممول الرئيسي للمؤسسات التعليمية في تلك الفترة، فكثيرا ما نجد الأهالي هم من يدفعون الأجور الشهرية للمؤدبين والأساتذة إما نقدا أوعينا.

- وصف الرحالة والمؤرخون التعليم، بقولهم :"...والكتب التي تدرس في هذه المدارس هي القرآن والتفسير، وهم يكتبون بأقلام مصنوعة من القصب، على ألواح مربعة مصنوعة من الخشب تطلى بنوع من الصلصال الأبيض.

- كانت الكتاتيب والمساجد والزوايا مراكز إشعاع وقواعد صناعة الثقافة في الجزائر العثمانية ليس في الجزائر فحسب، بل في كل بلاد المغرب الإسلامي سواء عبر المناطق الحضرية أو الريفية.

قائمة المراجع:

- الناصر، أبو راس (2005) **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تحقيق وتقديم: محمد غانم، وهران: المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية.

--أبو القاسم سعد الله (1998) **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ط02، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

--عبو ابراهيم (2017-2018) **العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/ 16-19م**. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس.

-- البوعبدلي، المهدي (1972) **أضواء حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، **مجلة الأصالة**، العدد8-ص-ص259-273.

-- بلحميسي (1981) **الجزائر من خلال رحلات. رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بن عامر، فضيلة. شابو فتيحة (2018-2019) **المساجد ودورها التعليمي والثقافي في الجزائر في الفترة الحديثة 1518-1830م**، مذكرة تخرج لنيل الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة.
-- بن سعد، محمد السعيد (2012) **الكتاتيب والزوايا بالجنوب الجزائري**، **مجلة:** الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني: جامعة معسكر. ص-ص229-245.
-- يحي بوعزيز (1995) **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- جون وولف (2009) **الجزائر وأوروبا 1500 -1830م**، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة.
-- دياب، زاهية وبرويس، وردة (2021) **السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني: قراءة سوسيو تاريخية**، محلة العلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد:01. ص-ص68-82.
- حمدان بن عثمان خوجة (1973) **المرآة** مذكرات ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش،و، ن، ت.
- رحموني، عبد الجليل (2014-2015) **إهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية 1520م، 1830 م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلا لي اليابس: بلعباس.
--رحوي، آسيا بلحسين (2011) **وضعية التعليم في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي**، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 7. ص-ص.50-64.

--عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائف في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م**، ط [من ومز]: موفم لنشر
وليام شالر(1982) **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الجزائر: ش. و. ن.ت.
- شهيب عبد العزيز، (د.س) **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**: دار الغرب لنشر والتوزيع، [د. م]
- عطيلي، هاجر (2018-2019) **موقف الاحتلال الفرنسي من المؤسسات العلمية والدينية في الجزائر، 1830 –1938م**، مذكرة مقدمة لنيل الماستر، جامعة حمة لخضر، الوادي.
- عقاب، محمد طيب (2009) **مدخل إلى العمارة الجزائرية: قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، الجزائر: دار الحكمة للنشر.
- عمارة عمورة وآخرون (2009) **الجزائر بوابة التاريخ قبل التاريخ إلى 1921**، ج2، الجزائر: دار المعرفة.
- هاينريش فون ما لتسان (1976) **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر وتق: أبو العيد دودو، ج01، الجزائر: الشركة الوطنية لنشر والتوزيع.
- لزغم فوزية (د.س) **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830م**، [د. م]
-عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائف في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م**، ط [من ومز]: موفم لنشر.

- كانكارت (1982) **مذكرات أسير الداي كانكارت قنصل أمريكا بالمغرب**، ترجمة وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الجزائر: د. م. ج.
- -مجدوبي نور الدين (2019-2020) **مناهج التعليم وأساليبه في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 8هـ-9هـ، 14م- 15م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران.
-- مخفي مخطار (2017) **دور علماء الجزائر، اجتماعيا وسياسيا خلال العصر العثماني، (1518 - 1830)**، محلة متون، مجلد 8، العدد4، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة. ص-ص 272-318.
-- محمد الورتيلاني (2006) **الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، المجلد1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية
- محمد الحنفاوي(1906) **تعريف الخلف برجال السلف**، [د. د. ن]، الجزائر، 1906.